# السنة النبوية وحي من الله
# محفوظة كالقـــــرآن الكريم

إعداد
د. شيخة بنت مفرج المفرج

[illegible]

## المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد.

فإن من أفضل العلوم بعد كتاب الله سنة رسول الله ، إذ السنة رديفة القرآن وهي جلاؤه وبيانه، فهي المصدر الثاني للتشريع بعد كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديهِ ولا من خلفهِ.

ولقد وكل الله إلى رسوله تبيان هذا الكتاب بقوله:            [النحل:44] والرسول  في بيانه للقرآن الكريم لا ينطق عن الهوى  [النجم:4].

ولما كان للسنة النبوية هذه المكانة العظمى، عرف السلف الصالح للسنة قدرها فرعوها حق رعايتها، وحفظوها في الصدور وأودعوها سويداء القلوب،ودونوها في المصنفات والكتب، وحكموها في شؤونهم .

وفي هذه الوريقات بعض بيان لأمور تتعلق بهذا النبع الصافي، والمورد العذب أجملتهُ في تمهيد وفصلين: -

**التمهيــد**: معنى السنة في اللغة والشرع .

**الفصل الأول**: إثبات أن السنة وحي من الله.

وتحته مبحثان:-

**المبحث الأول**: بما ورد في كتاب الله .

**المبحث الثاني**: بما جاء في السنة والآثار.

**الفصل الثانـي**: كيف حفظـت السنــة؟

وتحته ثلاثة مباحث:-

**المبحث الأول:** جهود الصحابة في حفظ السنة في عهد النبي .

**المبحث الثاني:** جهود الصحابة والتابعين في حفظ السنة بعد وفاة النبي  .

**المبحث الثالث:** جهود أتباع التابعين في حفظ السنة.

والله أسأل أن يوفقنا لخدمة العلم والدين، وأن ينفعنا بما علمنا وأن يحفظ شرعه القويم - كما وعد - إلى قيام الساعة، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

## تمهيـــــــد

## تعريف السنة لغةً واصطلاحاً

### أ - السنة لغةً

**السنة**: الطريقة، كذا في القاموس[1]، ولسان العرب[2].

وقال صاحب اللسان نقلاً عن شمر: (( السنة في الأصل سنة الطريق، وهو طريق سنه أوائل الناس فصار مسلكاً لمن بعدهم )) .

إذاً فالسنة في اللغة: الطريقة محمودةً كانت أو مذمومة، ومنه قوله  «من سَنَّ سُنَّةً حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سَنَّ سُنَّة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة»[3]، ومنه حديث «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع»[4].

---

1 (?) القاموس المحيط مادة: سنن ص 1558 .

2 (?) لسان العرب مادة: سنن 3/2124 .

3 (?) أخرجه مسلم في صحيحه 4/2059 ، كتاب العلم باب من سن سنة حسنة أو سيئة ح15، (1017) .

4 (?) أخرجه البخاري كما في الفتح 6/495 ، وكتاب أحاديث الأنبياء باب ذكر بني إسرائيل ح3456 ، وأخرجه مسلم 4/2054 كتاب العلم ، باب اتباع سنن اليهود والنصارى ح 6 ( 2669 ) .

## كلمة السنة واستعمالاتها في القرآن الكريم

1) قال الله تعالى: □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ [النساء:26]

قــال ابن كثــير[1] في معــنى الآيــة: يعــني طرائقهم الحميدة واتبـاع شــرائعه الـتي يحبها ويرضاها.

2) وقال تعالى: □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ [الأنفال:38]

قــال ابن كثــير: «أي قد مضت ســنتنا في الأولين .....»[2]

3) وقال تعالى: □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ [الإسراء: 77]

قال ابن كثير: «سنة من قد أرسلنا - الآيــة: أي هكــذا عادتنا في الــذين كفــروا برســلنا وآذوهم..» [3]

4) وقال تعالى: □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ [الفتح: 23]

وقال ابن كثير: « أي هذه سـنة الله وعادته في خلقه »[4]

ويستخلص من النصوص القرآنية أن الكلمة قد اســتعملت في القــرآن الكــريم بمعــنى الطريقة والعادة .

## كلمة السنة وبعض استعمالاتها في كلام الرسول □:

---

[1] (?) تفسير ابن كثير 2: 233 سورة النساء .

[2] (?) تفسير ابن كثير 3: 596 سورة الأنفال .

[3] (?) تفسير ابن كثير 5: 982 سورة الإسراء .

[4] (?) تفسير ابن كثير 7: 323 سورة الفتح .

1) روى عطـــاء بن يســـار عن أبي ســـعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لتتبِعُنَّ سَـنَنَ من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع [1]»

قال ابن حجر في شرحه: لتتبعن (( سـنن )) بفتح المهملة أي طريق.[2]

2) قـال « حميد بن أبي حميد الطويـل: أنه ســـمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقـــول: فجاء رسـول الله ﷺ، فقـال « أنتم الـذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقـاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النســاء، فمن رغب عن ســنتي فليس مــني »[3]

قــال ابن حجــر: « فمن رغب عن ســنتي فليس مني، المراد بالسـنة الطريقـة، لا الـتي تقابل الفرض..... »[4]

3) قـــال ابن بريـــدة: « حـــدثني عبدالله المزني رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: صـلوا قبل صــلاة المغــرب - قــال في الثالثة - لمن شاء، كراهية أن يتخذها الناس سنة » [5]

قــال ابن حجــر: ومعــنى قولــه: ســنة أي

---

1 (?) أخرجه البخاري في صحيحه مع الفتح 6/495 كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ذكر بـني إسرائيل ح 3456 .

2 (?) فتح الباري 6: 498.

3 (?) أخرجه البخاري في صحيحه مع الفتح 9/104 ، كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح ، ح 5063 ، وأخرجه مسلم 2/1020 كتاب النكاح ، باب استحباب النكاح ,ح 5 ( 1401 )

4 (?) فتح الباري 9: 105.

5 (?) أخرجه البخاري في صحيحه مع الفتح 3/60، كتاب التهجد ، باب الصلاة قبل المغرب ، ح 1183.

شريعة وطريقة لازمة.[1]

4) قـال جرير بن عبدالله رضي الله عنـه: «جـاء نـاس من الأعـراب إلى رسـول الله ﷺ وعليهم الصـوف، فـرأى سـوء حـالهم، قد أصـابتهم حاجـة، فحث النـاس على الصـدقة، فأبطؤوا عنه ,حتى رؤي ذلك في وجهه، قـال: ثم إن رجلا من الأنصـار جـاء بصـرة من ورق، ثم جاء آخر، ثم تتابعوا حتى عرف السرور في وجهـه، فقـال رسـول الله ﷺ: من سَـنَّ في الإسـلام سـنة حسـنة، فعل بها بعـده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجـورهم شيء، ومن سَنَّ في الإسلام سـنةً سـيئة فعل بها بعـده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء»[2].

5) روى ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: « أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه » [3]

6) قال سالم «كان عبدالله بن عمر رضي الله عنهما يفتي بالذي أنـزل الله عز وجل من الرخصة بـالتمتع وسن رسـول الله ﷺ فيـه:

---

1 (?) فتح الباري 3: 60 .

2 (?) أخرجه مسلم 4/2059 ,كتاب العلم ، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ح 15 ( 1017) .

3 (?) أخرجه البخاري في صحيحه مع الفتح 12/210 كتاب الديات ، باب من طلب دم امرئ بغير حق ,ح 6882 .

فيقول ناس لابن عمر: كيف تخالف أباك؟ وقد نهى عن ذلـك، فيقـول لهم عبداللـه: ويلكم ألا تتقون الله.إن كـان عمر نهى عن ذلك فيبتغي فيه الخـير، يلتمس به تمـام العمـرة، فلم تحرمون ذلك؟ وقد أحلَّه الله وعمل به رسول الله . أفرسـول الله -  - أحق أن تتبعـوا سنته أم سنة عمر؟»[1]

في ضوء هـذه النصـوص يمكن القـول بـأن النـبي  اسـتعمل كلمة «السـنة» بمعناها اللغوي أي الطريقة.

ونجد في دواوين السنة عشرات النصـوص وردت فيها كلمة السـنة وهي في معناها لا تخرج عن الطريقة والسيرة المتبعة.

قـال ابن الأثـير في النهايـة: قد تكـرر في الحديث ذكر« السنة» وما تصرف منها.

والأصل فيها الطريقة والسـيرة، وإذا أطلقت في الشـرع فإنما يـراد بها ما أمر به النبي صلى الله عليه وسـلم ونهى عنه ونـدب إليه قـولا وفعلا، مما لم ينطق به الكتـاب العزيز ولهـذا يقـال في أدلة الشـرع: الكتـاب، والسنة، أي: القرآن والحديث.[2]

**كلمة السنة في دواوين العرب:**

1- قال خالد بن عتبة الهذلي:

---

1 (?) أخرجه أحمد بن حنبل في المسند 2: 95 مسند عبدالله بن عمر,قال أحمد شاكر في تحقيقه للمسند ح5700: إسناده صحيح .

2 (?) النهاية 2: 409 ، مادة ( سنن ) .

فلا تجزعن من سنة أنت سرتها    وأول راض سنة من يسيرها

فإن التي فينا زعمت ومثلهـا    لفيك، و لكني أراك تجورها

2- وقال لبيد ( أحد أصحاب المعلقات ):

من معشر سنت لهم آباؤهم    ولكل قوم سنة وإمامهـا

3- وقال حسان بن ثابت:

إن الذوائب من فهر وإخوتهم    قد بينوا سنة للناس تتبـع

4- وقال الفرزدق:

فجاء بسنة العمرين فيهـا    شفاء للصدور من السقام

في ضـوء النصـوص السـابقة، يمكننا أن نقول: أن كلمة السنة استعملها الشـعراء في الجاهلية والإسـلام بمعناها اللغـوي، أي الطريقة المتبعة سواء كانت حسنة أو قبيحة.

**خلاصة القول:**

لقد استعمل الجاهليـون كلمة السـنة في قصائـدهم بمعنى الطريقـة

واسـتعملت في القـرآن بمعـنى الطريقة والعـادة، والمعـنى كما رأينا راجع إلى الأول.واسـتعملها الرسـول - ﷺ - في هـذا المعنى كما رأينا في حديث ابن عمر.

ونقلت الكلمة من عمومها هذا إلى المعـنى الاصـطلاحي الآتي ذكـره عند المسـلمين وأضيف إليها ( أل التعريف ) أي طريق رسول

الله  و شــريعته.وليس معــنى هــذا أن معناها اللغوي قد بطل أو انعــدم، بل بقي اســتعمالها و لكن في نطاق ضيق[1].

1 (?) تم جمع مادة المعنى اللغوي بتصرف من كتاب: دراسات في الحديث النبوي للأعظمي ، وكتاب: السنة و مكانتها في التشريع الإسلامي للسباعي .

**ب- السنة اصطلاحاً:**

يختلف معنى السـنة في اصـطلاح أهل الشـــرع حسب اختلاف فنـــونهم وأغراضـــهم، فهي عند الأصـــــوليين غيرها عند المحـــــدثين والفقهاء. ولذلك نرى مـدلول معناها من خلال أبحاثهم.

(1) فعلماء الحديث إنما بحثـوا عن رسـول الله  الإمام الهادي، الذي أخبر عنه أنه أسـوة لنا وقدوة، فنقلوا كل ما يتصل به من سـيرة، وخلـق، وشـمائل، وأخبـار، وأقـوال، وأفعـال، سواء أثبت ذلك حكما شرعيا أم لا.

**إذاً السـنة في اصـطلاح المحـدثين هي:**

كل ما أُثر عن النبي  من قول، أو فعل، أو تقريـر، أو صـفة خَلْقية أو خُلُقيـة، أو سـيرة سـواء أكـان ذلك قبل البعثة كتحنثه في غـار حراء، أم بعدها. والسـنة بهـذا المعـنى مرادفة للحديث النبوي.

(2) وعلماء الأصول إنما بحثـوا عن رسـول الله  المشرع الـذي يضع القواعد للمجتهـدين من بعده، ويبين للناس دستور الحيـاة، ولـذلك عنـوا بأقوالـه، وأفعالـه، وتقريراته الـتي تثبت الأحكام وتقررها.

**إذاً السـنة في اصـطلاح الأصـوليين هي:**

ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير.

فمثال القول:

ما تحدث به النبي ﷺ في مختلف المناسبات مما يتعلق بتشريع الأحكام كقوله عليه الصلاة والسلام «إنما الأعمال بالنيات» [1]. وقوله: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا» [2].

ومثال الفعل:

ما نقله الصحابة من أفعال النبي ﷺ في شؤون العبادة وغيرها، كأداء الصلوات، ومناسك الحج، وآداب الصيام، وقضائه بالشاهد واليمين.

ومثال التقرير:

ما أقره الرسول ﷺ من أفعال صدرت عن بعض أصحابه بسكوت منه مع دلالة الرضا، أو بإظهار استحسان وتأييد.

فمن الأول، إقراره عليه الصلاة و السلام لاجتهاد الصحابة في أمر صلاة العصر في غزوة بني قريظة حين قال لهم «لا يُصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة»[3] فقد فهم

---

1 (?) أخرجه البخاري في صحيحه مع الفتح1/9، كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ، ح1 وأخرجه مسلم 3/1515، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ (إنما الأعمال بالنية).... الخ ، ح 155 ( 1907 ) .

2 (?) أخرجه البخاري في صحيحه مع الفتح 4/328 ، كتاب البيوع باب البيعان بالخيار مالم يتفرقا ،ح 2110 ، وأخرجه مسلم 3/1164، كتاب البيوع ، باب الصدق في البيع والبيان ، ح 47 (1532).

3 (?) أخرجه البخاري في صحيحه مع الفتح 7/407 ، وكتاب المغازي ، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم ، ح 4119 ، وأخرجه مسلم 3/1391

بعضهم هذا النهي على حقيقته فأخرها إلى ما بعد المغرب، وفهمه بعضهم على أن المقصود حث الصحابة على الإسراع فصلاها في وقتهـا، وبلغ النبي ما فعل الفريقان فأقرهما ولم ينكر عليهما.

ومن الثـــــاني: ما روي أن خالد بن الوليد رضي الله عنه أكل ضباً قُدِّم إلى النبي  دون أن يأكلـه، فقـال له بعض الصـحابة: أوَيحـرم أكله يـا رسول اللـه؟ فقـال: « لا، ولكنه ليس في أرض قومـي فأجدني أعافه » [1].

وقد تطلق السـنة عنـدهم على ما دل عليه دليل شـرعي، سـواء كـان ذلك في الكتـاب العزيز، أو عن النبي ، أو اجتهد فيه الصـحابة، كجمع المصـحف وحمل النـاس على القـراءة بحرف واحد، وتدوين الـدواوين، ويقابل ذلك « البدعة » ومنه قوله : « عليكم بسـنتي وسـنة الخلفاء الراشدين من بعدي » [2].

(3) وعلمـاء الفقه إنما بحثـوا عن رسـول الله ، الـذي تـدل أفعاله على حكم شـرعي، وهم يبحثون عن حكم الشرع في أفعال العباد وجوبـا، أو حرمـة، أو إباحـة، أو غـير ذلـك. إذاً

---

، كتاب الجهاد والسير ، باب المبادرة بالغزو ....إلخ ح 69 ( 1770 ) .

[1] (?) أخرجه البخاري في صحيحه مع الفتح 9/663 ، كتاب الذبائح والصيد ، باب الضب ، ح 5537 وأخرجه مسلم 3/1543 ، كتاب الصيد والذبائح ، باب إباحة الضب ، ح 43 ( 1945 ) .

[2] (?) أخرجه أبو داود 5/13 كتاب السنة ، باب في لزوم السنة ،ح 4607 والترمذي 5/44 كتاب العلم ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة ، واجتناب البِدع ، ح 2676.

فالسنة في اصطلاح الفقهـاء: هي ما ثبت عن النـبي  من غـير افـتراض ولا وجـوب، وتقابل الـواجب وغـيره من الأحكـام الخمسـة، وقد تطلق عنـــدهم على ما يقابل البدعـــة، ومنه قولهم: طلاق السنة كذا، وطلاق البدعة كذا.

ومـــرد هـــذا الاختلاف في الاصـــطلاح إلى اختلافهم في الأغراض الـتي يُعـنى بها كل فئة من أهل العلم.

فعلماء الحديث إنما بحثوا عن رسول الله  الإمام الهادي الذي أخبر الله عنه أنه أسوة لنا وقـــدوة، فنقلـــوا كل ما يتصل به من ســـيرة وخلق وشمائل وأخبار وأقوال وأفعـال، سـواء أثبت ذلك حكماً شرعياً أم لا.

وعلماء الأصول إنما بحثـوا عن رسـول الله الذي يضع القواعد للمجتهدين من بعده، ويبين للنـاس دسـتور الحيـاة، فعنـوا بأقواله وأفعاله وتقريراته التي تثبت الأحكام وتقررها.

وعلماء الفقه إنما بحثـوا عن رسـول الله  الـــذي لاتخـــرج أفعاله عن الدلالة على حكم شـرعي، وهم يبحثـون عن حكم الشـرع على أفعال العباد وجوبـاً أو حرمـةً أو إباحـةً أو غـير ذلك.

ونحن هنا نريد بالسنة  ما عناه الأصـوليون، لأنها - بتعـريفهم - هي الـتي يبحث عن حجيتها ومكانتها في التشريع [1].

---

[1] (?) مادة التعريف الشرعي للسنة أخذت بتصرف من كتاب: السنة قبل التدوين للخطيب ، وكتاب السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للسباعي .

# الفصل الأول

# إثبات أن السنة وحي من الله

## المبحث الأول: ما ورد في القرآن الكريم

السنة النبوية: هي ما أضيف إلى النبي  من قول أو فعل أو تقرير، وهي أحد قسمي الوحي الإلهي الذي نزل به جبريل الأمين على النبي الكريم ، والقسم الثاني من الوحي هو القرآن الكريم، فالسنة النبوية من الوحي، بذلك نطق الكتاب العزيز  [النجم:3-4]

فكل ما ينطق به رسول الله  من قرآن أو سنة هو من وحي رب العالمين، قال تعالى:   [الحجر:9].

فأنزل الله القرآن الكريم وحياً يتلى إلى قيام الساعة محفوظاً من التبديل والتغيير فكان دليلاً قائماً وبرهاناً ساطعاً على إثبات نبوة محمد  إلى يوم الدين وكان خير حافظ للشريعة المحمدية من عبث العابثين وتحريف الغالين وانتحال المبطلين وكان وما يزال نوراً ساطعاً وضياءً للمتقين قال تعالى:   [المائدة:16].

وقد أمر الله بطاعة الرسول، وجعل طاعته طاعة لله تعالى واتباعه سبباً في محبة الله وغفران الذنوب ونفى الإيمان عمن لم يرض بقضائه ، ومما ورد فيه من الوعيد الشديد لمن خالف رسوله قال تعالى:  [المائدة:92] وقال عز من قائل:

[النساء:80]

وقوله تعالى: [آل عمران:31]، [الحشر:7].

وقال جل شأنه: [النساء:65].

وقوله سبحانه: [الأحزاب:36]

وقوله جل شأنه: [النور:63][1].

1 (?) أصول الفقه الإسلامي لزكي الدين شعبان ص 64 – 65.

## المبحث الثاني: ما جاء في السنة النبوية وأقوال الصحابة ومن بعدهم

جاءت السنة بذلك: قال رسـول الله  « ألا إني أوتيت القـــرآن ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهـذا القـرآن فما وجـدتم فيه من حلال فـأحلوه وما وجـدتم فيه من حرام فحرموه ألا وإنَّ ما حَرَّم رسـول الله  كما حرَّمَ الله »[1].

وعن حسان بن عطية أنه قال:«كان جبريل عليه السلام ينـزل على رسـول الله  بالسـنة كما ينــــزل عليه بـــالقرآن ويعلمه إياها كما يعلمه القرآن » [2].

وعن مكحـول قـال: قـال رسـول الله : « آتاني الله القرآن ومن الحكمة مثليه » [3]

والـــوحي ينقسم إلى متلو وغـــير متلـــو، فالوحي المتلو هو القرآن الكريم ومن الــوحي

---

1 (?) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه ( أخرجه أبو داود 5/10، كتاب السنة باب لزوم السنة ، ح 4604 وأخرجه الترمذي 5/38 ، كتاب العلم ، باب ما نهي عنه أن يقال عن حديث النبي  ح 2664 وقال حديث حسن غريب ، وأخرجه ابن ماجه 1/6 ، المقدمة باب تعظيم حديث رسول الله  والتغليظ على من عارضه ح 12 ) عن المقداد بن معد يكرب ، وحسنه الترمذي وصححه الحاكم .

2 (?) أخرجه أبو داود في مراسيله ص 361 ، باب في البدع ، ح 536 ,وقال محققه شعيب الأرناؤوط: رجاله ثقات رجال الشيخين، غير أنّه مرسل.

3 (?) أخرجه أبو داود في مراسيله ص 359 باب البدع ، ح 534 ، وقال محققه شعيب الأرناؤوط رجاله ثقات إلا شيخ أبي داود صدوق، غير أنّه مرسل.

غير المتلو السنة النبوية لقوله تعالى: 
 [النجم:3-4] وقوله:  [النساء:80]
إلى غير ذلك من الأدلة، غير أن السـنة النبوية تفارق القرآن الكريم بأمور كثيرة أهمها:

1- أنها نـزلت بـالمعنى ولفظها من النـبي صـلى الله عليه وسـلم ومن هنا جـاز روايتها بـالمعنى للخبـير بمقاصـدها العارف بمعانيهـا وألفاظها عند من يـرى ذلك من العلماء .

2– أنها ليست معجزة بألفاظها .

3– ولا متعبداً بتلاوتها .

وقد يشـكل على أن السـنة بأقسـامها: أقوالها وأفعالها وتقريراتها من الوحي ما قرره العلماء من جـواز الاجتهـاد له  وأنه اجتهد في كثير من الوقائع في الحـروب وغيرهـا، فَجعْـلُ السنة مـوحى بها من الله سـبحانه يعـارض ما قرره جمهـور العلمـاء فضـلاً عن أنه يسـلبه  خصائصه ومزايـاه من الفهم الثـاقب والـرأي الصـائب.والجـواب عن ذلك أنه  وإن اجتهد في كثـير من المـواطن الـتي لم ينـزل عليه فيها وحي بمقتضى ما فطر عليه من العقل السـليم والنظر السـديد إلا أَنَّ الله سـبحانه لايتركـه وشـأنه، ولكن يقـره إذا أصـاب وينبهه إن أخطأ.

ومن هنا كان اجتهـاده  إذا أقـره الله عليه وحياً حكماً فلا تعارض بين أن السنة وحي من الله وأن ذلك لا يسـلبه  شـيئاً من خصائصه

ومزاياه بل يؤكدها ويقررها[1].

وإننا لنلمس آثار رحمة الله تعالى وحكمته في أن جعل الوحي قسمين: قسماً: لا تجوز روايته بالمعنى بل لابد فيه من التزام الألفاظ المنزلة وهو القرآن الكريم، وقسماً: تجوز روايته بالمعنى لمن يستطيع ذلك وهو السنة النبوية المطهرة، وفي ذلك صون الشريعة والتخفيف عن الأمة ولو كان الوحي كله من قبيل القرآن الكريم في التزام أدائه بلفظه لشق الأمر وعظم الخطب ولما استطاع الناس أن يقوموا بحمل هذه الأمانة الإلهية.

ولو كان الوحي كله من قبيل السنة في جواز الرواية بالمعنى لكان فيه مجال للريب ومثار للشك ومغمز للطاعنين ومنفذ للملحدين، إذ يقولون لا نأمن أخطاء الرواة في أداء الشريعة ولا نثق بقول نقلة العقائد والأحكام والآداب، ولكِنَّ الله جلت حكمته صان الشريعة بالقرآن ورفع الإصر عن الأمة بتجويز رواية السنة في الحدود السابقة؛ لئلا يكون للناس على الله حجة [2].

1 (?)كتاب الحديث والمحدثون ص 11 وما بعدها بتصرف .

2 (?)كتاب الحديث والمحدثون ص 19 وما بعدها (بتصرف) .

## الفصل الثاني
## كيف حفظت السنة ؟؟

### المبحث الأول: جهود الصحابة في حفظ السنة في عهد النبي 

كــان من رحمة الله بالإنســانية جمعــاء أن بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويــزكيهم ويعلمهم الكتــاب والحكمــة.وهــذا الرسول هو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب أشرف الناس نسباً وأكرم قريش أصلاً.

بدأ رسول الله  الدعوة إلى الله سرّاً حتى لا يفجأ القـــوم بها وهم غــــارقون في جهلهم هـــــائمون في غيهم .فتبعه منهم نفر قلائل لا يتجـاوزون أصـابع اليـد، ثم جهر بالـدعوة إلى الله عز وجل فدخل في الدين من علية القوم كثـــير، دخلـــوا الإســـلام على بينة من أمـــره واستمعوا إلى كتاب الله وسنة نبيهم فخالطت بشاشة الإيمـــــان قلـــــوبهم، ولاســـــيما وهم متعطشـــــون إلى ما ينقـــــذهم من ظلمـــــات الشـرك ويهـديهم إلى سـبل السـلام فصـادف الإسلام قلوباً مستعدة ونفوساً متلهفة متهيـأة فتمكن منها كل التمكن وجــرى الإيمــان فيهم مجرى الدم في عروقهم.

ذلك أنهم عرفــوا من الرســول صــلى الله عليه وسـلم أن هـذا الـدين هو منبع سـعادتهم ومعقد عــزهم وســبب نهضــتهم فعقــدوا عليه

خناصـرهم وأحبـوا رسـول الله حبـاً يعلو على حب الآبـاء والأبنـاء وانكبـوا على ما جاءهـم به من القـرآن يحفظونه وعلى ما حـدثهم به من بيان للكتـاب أو تشـريع للأحكـام فجمعـوه في صــدورهم وطبقــوه على جميع أحــوالهم، ثم كــانت الهجــرة إلى المدينة فانفسح المجــال لاستماع القرآن وحضور مجالس النبي  .

علم أصـحاب رسـول الله  للسـنة مكانها من الدين وأنها الركن الثـاني في بنائه القـويم بعد الكتاب العزيز كما علموا وصية الله تعالى باتباعها وتحـذيره الشـديد من مخالفتهـا، وأن من فَــرَّطَ في أمرها أو تهــاون بشـــأنها فهو محـــروم، ومن حفظها وعمل بها فهو ســـعيد مشكور.

ولم يخف عليهم أن القرآن العزيز رفع من شــأن العلم والعلمــاء وحط من شــأن الجهل والجهلاء فقال: [الزمر:9] وقال:  [المجادلة:11] وحث على التفقه في الدين وتبليغه إلى الناس فقال:  [التوبة:122].

كما لم يخف عليهم الوعيد الشديد على كتمان العلم في قوله تعالى:  [البقرة:159].

وكما جـاءت الآيـات القرآنية حاثة لهم على تعلم الــدين وأحكامه ودرسه ونشــره كــذلك جــــاءت الأحــــاديث النبوية محببة إليهم حمل العلم والتفقه في الــــدين محــــذرةً لهم من كتمانه حاضةً على تبليغه إلى النـاس فقـال :

«من يرد الله به خـيراً يفقهه في الـدين» [1]« الـدنيا ملعونة. ملعـون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالماً ومتعلماً »[2].

« نضر الله إمرأ سمع منا شـيئاً فَبَلَّغـهُ كما سمعهُ فَرُبَّ مُبلَّغٍ أوعى مـن سـامع »[3] « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقـاً إلى الجنة »[4] « من سُـئل عن علمٍ فكتمه جاء يوم القيامة ملجمـاً بلجـام من نـار »[5] والآيـات والأحـاديث في هـذا البـاب كثـيرة شهيرة.

ملكت هـذه الآيـات والأحـاديث على الصـحابة مشـاعرهم وأخـذت عليهم ألبـابهم وأفعمت قلـوبهم حبـاً لله ورسـوله  وألهبت نفوسـهم نشـاطاً نحو العلم والعمل فلم يـدخروا وسـعاً في حفظ الأحكـام والسـنن،

---

1 (?) أخرجه البخاري في صحيحه مع الفتح 1/164، كتاب العلم ، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ح 71، و أخرجه مسلم 2/718، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة ح 98 ( 1037).

2 (?) أخرجه ابن ماجه 2/1377 ، كتاب الزهد ، باب مثل الدنيا ، ح 4112 ، وحسنه الألباني كما في صحيح سنن ابن ماجه 2/395 ، ح 3320 .

3 (?) أخرجه الترمذي 5/ 34 ، كتاب العلم ، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع ، ح 2657، وقال: هذا حديث حسن صحيح .

4 (?) أخرجه مسلم 4/ 2074، كتاب الذكر ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ح 38 ( 2699 ) .

5 (?) أخرجه أحمد بن حنبل في المسند 2/ 296 و 495، مسند أبى هريرة ، وقال أحمد شاكر - في تحقيقه للمسند 14/5 ، ح 7561 -: إسناده صحيح .

وضـــــحوا في ســـــبيل ذلك بــــــأموالهم وأنفســـهم.وإلى جـــانب هـــذه الحمية الدينية استعداد فطـري ونشـاط طـبيعي هو اسـتعداد الحافظة ونشــاط الــذاكرة وســرعة الخــاطر وقوة الذكاء وكمال العبقرية، فالصحابة عــرب خلص أكــثرهم أميــون لا يقــرؤون ولا يكتبــون فكل اعتمادهم على ملكتهم في الحفظ وقــوة شأنهم فيـه، واعتـبر ذلك بحـالهم في الجاهلية فقد حفظــوا أنســابهم ومنــاقبهم وأشــعارهم وخطبهم وكثيراً ما كـانت تقع بينهم المفـاخرة بالأنساب والأحساب فلا يسعفهم غير اللســان يثــيرون به ما حفظــوه من أخبــارهم وأخبــار خصـــومهم مما يرفع من شـــأنهم ويحط من شــأن أعــدائهم، فكــان كل امــرئٍ منهم على مقدار حفظه وقوة وعيه ترجمــان قبيلته يرفع من قــدرها ويتحــدث عن مفاخرها وأحســابها والقوم من ورائه كأنهم سجل مليء بالحوادث والأخبــار وكتــاب شــحن بــالتواريخ والآثــار، ساعدهم حبهم للتفـاخر بالأحسـاب والأنسـاب والتنــابز بالمثــالب والألقــاب مع ما رسخ فيهم من عصبية قبلية على إجـادة الحفظ والضـبط ونشــاط في الــذاكرة لم يتــوافر في أمة من الأمم.

وكـــأن الله تعـــالت قدرته هيأ هـــذه الأمة العربية على هـــذا الاســـتعداد الهائل إرهاصـــاً لنبـوة محمد  فكـانت هـذه الصـدور الحافظة مهدا لآي الذكر الحكيم، وكـانت هـذه القلـوب

الواعية أوعية لحـديث النـبي الكـريم فانـدفع هؤلاء الصحابة الأجلاء إلى تلقي حديث رسول الله بِنَهَم عظيم وشـوق كبـير، وأظهر الله بهم دينه على الـدين كلـه، وكـان أمر الله قـدراً مقدورا.

نعم تظـاهر هـذان العـاملان ... العامل الروحي والعامل الفطري فـأتى القـوم بمـالم تأت به أمة من يوم أن بعث الله تعالى رسـله إلى الخلق فحفظـوا كتـاب ربهم وسـنة نـبيهم واتخـذوا شـريعته نبراسـاً في أمر معاشـهم ومعادهم وبلغوها إلى الناس على وجهها غضةً طريةً.

## أ - مجالس النبي صلى الله عليه وسلم العلمية

لم يكن للنبي  مدرسة مشيدة ولا معهد للتعليم يجلس فيه إلى أصحابه، بل كانت مجالسه العلمية كيفما اتفق فهو في الجيش معلم وواعظ يلهب القلوب بوعظه ويحمس الجنود بقوله وهو في السفر مرشد وهاد وهو في البيت يعلم أهله، وهو في المسجد مدرس وخطيب وقاض ومفت، وهو في الطريق يستوقفه أضعف الناس ليسأله عن أمر دينه فيقف، وهو على كل أحواله مرشد وناصح ومعلم، إلا أنه كثيراً ما يعقد لأصحابه المجالس العلمية بالمسجد حيث يجتمعون فيه في أغلب الأوقات لأداء فريضة الصلاة فكان يتخولهم بالموعظة والدرس تلو الدرس حتى لا يملوا ويسأموا، فعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال «كان النبي  يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا»[1].

وفي هذه المجالس كان  يفيض على أصحابه من الكلم الطيب والعلم النافع والهدى الرشيد ما يشرح صدورهم ويفعم قلوبهم، وكانوا يحضرون أولادهم مجالس الرسول  لسماع حديثه والتأدب بآدابه وكان عليه السلام كثيراً ما يستفتى فيفتي، أو يسأل

---

[1] (?) أخرجه البخاري كما في الفتح 1/162 ، كتاب العلم ، باب ما كان النبي  يتخولهم بالموعظة ...إلخ ، وأخرجه مسلم 4/2172 كتاب صفات المنافقين ، باب الاقتصاد في الموعظة ح 82 ( 2821 ).

فيجيب، أو تقع أمامه الحادثة فيكشف عن حكم الله فيها، أو تنـزل عليه الآية من القـرآن فيفصح عن مــراد الله منهــا، أو يقع من بعض الصـحابة عمل لم يكن يعـرف حكمه فيسـكت إيذاناً منه بأنه جائز في الدين.

ولاتظن أن رسول الله  كان ملكاً محجوباً عن رعيته أو سلطاناً مترفعاً عن الاختلاط بأفراد أمته، بل كان على عكس ذلك متقلباً بين ظهرانيهم يبلغ رسالة ربه ويعود مرضاهم ويشيع موتاهم ويفصل في قضاياهم ويفض منازعاتهم ويقضي على اختلافاتهم وهم في كل ذلك مقبلون عليه بآذان صاغية وقلوب واعية.

هذا ولم يكن الصحابة رضي الله عنهم في حضور مجالسه العلمية سواء، بل كان منهم من يلازمه ولا يتخلف عنه في الحضر ولا في السفر كما كان من أبى بكر وأبى هريرة رضي الله عنهما. وكان منهم من يتخلف عنه في بعض الأوقات لقضاء مصالحه المعيشية كزراعة أو تجارة أو نحوها أو الخروج في سرية إلى غير ذلك، ومع ذلك فكانوا حريصين على ما فاتهم من دروس النبي  فإذا ما حضروا سألوا واستفسروا.

وكان من الصحابة من يشتد به الحرص على حديث رسول  فيتناوب حضور مجالسه مع جار له يحضر هذا يوما وهذا يوما ثم يخبر كل منهما صاحبه عما سمعه في يومه فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه «أنه كان هو

وجارٌ له من الأنصار يتناوبان مجالس رسول الله  ويخبر كل منهما صاحبه بما رآه أو سمعه »[1]، أما من بعدت عليهم الشُّقة فكانوا إذا نزلت بهم نازلة وأشكل عليهم حلها، فإنهم يضربون أكباد الإبل إلى مدينة رسول الله  ليقفوا على حكم الله فيما عرض لهم من الحوادث وربما مكثوا في أسفارهم الأيام والليالي ذوات العدد.

فعن عقبة بن الحارث أنه أخبرته امرأة بأنها أرضعته هو وزوجه فركب من فوره - وكان بمكة - قاصداً المدينة حتى بلغ رسول الله  فسأله عن حكم الله فيمن يتزوج امرأة لا يعلم أنها أخته من الرضاع ثم أخبرته بذلك من أرضعتهما فقال له النبي : «كيف وقد قيل»[2] ففارق زوجته لوقته.

علم النبي  أن أصحابه سيخلفونه من بعده وسيقع على كاهلهم أمر الإرشاد والتعليم فأتى في دروسه التعليمية بأمور كان لها أكبر الأثر في توجيه الصحابة وتعليمهم كيف يضطلعون بمهمة التعليم فيما بعد، ولنذكر لك أمثلة من هديه التعليمي الذي كان مناراً اهتدى به أصحابه رضي الله عنهم.

كان من هديه التعليمي عليه السلام أنه إذا سئل عما لا يعلم يسكت منتظرا الوحي من

---

1 (?) أخرجه البخاري في صحيحه مع الفتح 1/185 ، كتاب العلم باب التناوب في العلم ح 89 .

2 (?) أخرجه البخاري في صحيحه مع الفتح 1/184 ، كتاب العلم ، باب الرحلة في المسألة النازلة وتعليم أهله ، ح 88.

الله بذلك، وكان من هديه ﷺ أنه إذا قال كلمة أعادها ثلاثا حتى تفهم عنه وكان من هديه عليه السلام أنه ربما طرح المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم وليشحذ أذهانهم للفهم، وكان إذا سئل عن مسألة فأجاب عنها فإنه قد يفيض في مسائل أخرى لها مناسبة بالمقام أو صلة بالجواب فيستطرد بها ليفيد السائل والحاضرين علما جديداً.

وكان يتخولهم بالموعظة كراهة الملل حتى إن أصحاب ابن مسعود طلبوا منه أن يحدثهم كل يوم فأبى وقال إنما نتخولكم بالموعظة كما كان رسول الله ﷺ يتخولنا كراهة السآمة علينا. وكان ﷺ يخص بعض أصحابه بالعلم دون بعض مخافة ألا يفهموا فيفتنوا.إلى غير ذلك من الأمثلة التي إذا تتبعناها في حديث رسول الله ﷺ اطلعنا منه على خطة حكيمة في توجيه الصحابة حتى كانوا أساتذة في التعليم أمناء على أحكام الدين.

## ب - كيف كان الصحابة يتلقون الحديث عن النبي  ؟

لم يكن في أصحاب رسول الله  من يحسن الكتابة إلا نفر قليل فقد كانت الأمية غالبة عليهم فكان اعتمادهم في تلقي الحديث عنه  على استعدادهم في الحفظ على ما سبق آنفا كما أنهم نهوا عن كتابة الحديث في بدء الأمر خوف اختلاطه بالقرآن الكريم، وكان الصحابة يتلقون الحديث عن النبي  إما بطريق المشافهة وإما بطريق المشاهدة لأفعاله وتقريراته وإما بطريق السماع ممن سمع منه صلى الله عليه وسلم أو شاهد أفعاله وتقريراته لأنهم لم يكونوا جميعا يحضرون مجالسه  بل كان منهم من يتخلف لبعض حاجاته. هذا ولما كان عدد الحاضرين للسماع من حضرة النبي صلى الله عليه وسلم يختلف قلة وكثرة اختلف لذلك المروي عنه، فبعضه بلغ درجة التواتر وهو ما نقله عنه  جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب وهذا نوعان:-

متواتر لفظاً وهو قليل من الأحاديث كحديث « من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار »[1] ومتواتر معنى وهو كثير ومن ذلك الأحاديث الواردة في أحكام

---

[1](?) أخرجه البخاري في صحيحه مع الفتح 1/302 ,كتاب العلم ، باب إثم من كذب على النبي  ح 110، وأخرجه مسلم 1/10 ، المقدمة ، باب تغليظ الكذب على الرسول  ح 3و4 .

الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والبيوع والنكاح والغزوات مما لم يختلف فيه فرقة مـن فرق الإسلام، وبعضه لم يبلغ درجة التواتر وهو الذي يسميه العلماء «خبر الآحاد».

كان الصحابة يحفظون الأحاديث عن ظهر قلب ويبلغونها للناس بطريق المشافهة إلا ما كان من بعض أفراد قلائل كعبدالله بن عمرو بن العاص فقد أذن له النبي  في كتابة الحديث عنه.

فعن عبدالله بن عمرو هذا أنه قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله  أريد حفظه، فنهتني قريش، فقالوا: إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ، ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: « اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق »[1].

هذا ولاختلاف الصحابة في معرفة الكتابة وعدم معرفتها وكثرة حضورهم مجالسه صلى الله عليه وسلم وقلة حضورهم اختلفوا في تحمل الحديث وأدائه قلة وكثرة فكان منهم المقل ومنهم المكثر.

هذا أبو هريرة رضي الله عنه يقول: « ما

---

1 (?) أخرجه أبو داود 4/60 ، كتاب العلم ، باب في كتابة العلم ، ح 3646 وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود 2/695 ، ح 3099.

من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد أكثر حديثا عنه مني إلا ما كان من عبدالله بن عمرو فانه كان يكتب ولا أكتب »[1]

وكما اختلف الصحابة في صفة الأخذ عن رسول الله  وفي كثرة المروي وقلته لأسباب أشـرنا إليها كـذلك اختلفـوا في فقه الحـديث حسب اختلافهم في الفهم والاسـتعداد الفطري فلم يكونـوا سـواء في معرفة الناسخ والمنسوخ والعـام والخـاص والمطلق والمقيد والمجمل والمفسر ونحو ذلك إلا أنهم كـانوا كثـيرا ما يرجعـون إلى الرسـول  عند ما يقع الاختلاف بينهم فيُصدر حكمه الفصل وقَضـاءَه العدل.

**جـ - أثر النساء في نشر الحديث:**

لم تكن مجالسه  قاصرة على الرجال بل كان كثير من النساء يحضرن المسجد أيضا ويستمعن إلى حديثه الشريف وفي الاجتماعات العامة كالاجتماع بصلاة العيد كن يخرجن جميعا إلى المصلى لاستماع الموعظة النبوية وكان النبي  بعد أن يلقي خطبة العيد في الصفوف الأمامية للرجال ينتقل إلى صفوف النساء يتحدث إليهن ويعلمهن إلا أن المجالس النبوية بوجه عام كانت الغلبة فيها للرجال دون النساء لذلك جاء وفد النساء إلى

---

1 (?)أخرجه البخاري في صحيحه مع 1/206 ، كتاب العلم ، باب كتابة العلم ح 113.

رسول الله  وطلبن إليه أن يجعل لهن يوماً يعلمهن فيه فكان النبي  يجيبهن إلى ذلك، على أن هذه الدروس كلها من عامة وخاصة لم تكن قائمة بحوائج النساء الدينية فكثيرا ما كانت تتجدد لهن شؤون ولاسيما وهن حديثات عهد بالإسلام فكانت المرأة تقصد رسول الله  فيما يعرض لها من أمر دينها ولا تستحيي أن تسأله لعلمها أنه لا حياء في التعلم وربما قدمت بين يدي سؤالها قولها «يا رسول الله إن الله لا يستحيي من الحق» ثم تذكر حاجتها فتقول مثلا (هل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت) وكثيرا ما يكون ذلك في نساء الأنصار حتى امتدحتهن عائشة زوج النبي  بقولها «نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعـهن الحياء أن يتفقهن في الدين»[1]، أما من كان يغلب عليها الحياء منهن فكان لها من أمهات المؤمنين أعظم وسيط لدى رسول الله  يستوضح لها عن جواب سؤالها.

**د - أمهات المؤمنين يبلغن الحديث عن رسول الله **

ولاننس ما لزوجاته  من فضل كبير في تبليغ أحكام الدين ونشر السنن بين نساء المؤمنين ولاسيما ما كان من عائشة رضي الله عنها التي كانت على مقدار عظيم من الذكاء والفهم، فقد كانت تسأله  وتناقشه

---

[1] (?) أخرجه البخاري 1/ 228 ، كتاب العلم ، باب الحياء في العلم ح 130.

في بعض المسائل التي قد تخفى عليها وتستوضح عن كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

فعن ابن أبي مُلَيْكةِ أن عائشة زوج النـبي  كـانت لا تسـمع شـيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حـتى تعرفـه، وأن النـبي  قـال « من حوسب عذب، قالت عائشة أو ليس يقول الله تعـالى:       [الانشـقاق:8]، قـالت فقـال: إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب يهلك »[1].

ولعل من الحكم التي لأجلها أباح الله للرسول  الزواج بأكثر من أربع قيام هؤلاء الزوجات بالتبليغ عنه  وبخاصة في الأمور التي لا توجد منه  بين أصحابه أو يستحيي من فعلها بينهم ولا يمكن الاطلاع عليها لأحد غير أمهات المؤمنين رضي الله عنهن لذلك نجد أصحاب رسول الله  من بعده إذا اختلفوا في شيء من الأحكام كالغسل والحيض والجمــاع ونحوها يلجؤون إلى أمهات المؤمنين ويرجعون إلى أقوالهن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلك يزول ما بينهم من خلاف.

هــــذا ولا ريب في أن نســـــاءه  كن على جانب عظيم من العلم فقد أمرهن الله تعـالى بالاســــتقرار في بيـــوتهن ومُدَارسة القــــرآن

---

1 (?)أخرجه البخاري 1/196 ، كتاب العلم ، باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه ، ح 103 وأخرجه مسلم 4/2204 ، كتاب الجند ، باب إثبات الحساب ، ح 79 (2876 ) .

والسنة في قوله:  [الأحزاب:33] إلى أن قـال:  [الأحزاب:34]

لذا كان لأمهات المؤمنين أثر فعال في نشر السنة، ولولاهن لضاعت أحاديث وأحكام ما كنا لنطلع عليها من غيرهن ولاسيما الأفعال التي تقع بين النبي  وأزواجه مما لا يمكن لأحد الاطلاع عليها والوقوف على أحكامها.

**هـ- البعوث والوفود وأثرها في انتشار الحديث النبوي**

**1- بعوثه  وأثرها في نشر الحديث:-**

بدأت الدعوة المحمدية سراً واستمرت على ذلك ثلاث سـنوات، ثم أمر الله نبيه بـأن يجهر بها بعد أن تكـونت نـواة صـالحة من المسلمين، فما كان من قريش إلا أن ناصـبوه العداء واستمر الأمر على ذلك حيناً من الزمن حـتى دخل في الإسـلام كثـير من أهل المدينة فـأمر الله نبيه بـالهجرة إليها فانتقل إليها مع أصـحابه وأصـبحت المدينة من ذلك الـوقت مهبط الوحي وقاعدة الإسلام. غزا منها النـبي  أعـداء الـدين وحـدث بها أكـثر حديثـه، إلا أن القتال كان حائلاً دون دخـول كثـير من القبائل في الإسلام كما كان مانعاً من وصول الـدعوة إلى أطـراف الجزيـرة، فما أن وقع صـلح الحديبية بين النـبي  وأهل مكة حـتى أمن النـاس بعضـهم بعضـا، وجـالس بعضـهم بعضا وتحدثوا في شأن هذا الدين الجديد، وفي ظل هذه الهدنة المباركة دخل كثير من العرب في

الإســـلام وبعث النـــبي  بعوثه إلى القبائل المسـلمة لتعليمهم السـنن والأحكـام، فبعث منهم إلى اليمن وإلى البحــــــــرين وإلى حضـــرموت وإلى عمـــان وغـــير ذلك من بلاد العرب.

كـــانت هـــذه البعـــوث رسل رحمة وهداية للنـاس بما حملـوه إليهم من القـرآن والسـنة اللذين هما حيـاة النفـوس والأرواح كما كـانت هذه البعوث عاملاً مهماً في نشر حديث النبي  بين المسلمين في أنحاء الجزيـرة، وقد كـان النــبي صــلى الله عليه وســلم يتخــير لهــذه المهمة من كـان على جـانب عظيم في العلم بـــالقرآن والســـنن وكـــان يـــزودهم بحديثه الشـــريف وإرشـــاده الحكيم ويعلمهم كيف يـدعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسـنة، انظر إلى قوله لمعـــاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «إنك تـأتي قومـاً أهل كتـاب فقل لهم إن الله فـرض عليكم في اليـوم والليلة خمس صلوات فإن هم أطاعوك فقل: إن الله فـرض عليكم في السنة صوم شهر رمضان، فإن هم أطاعوك فقل: إن الله فرض عليكم حج البيت من استطاع إليه سـبيلا، فـإن أطـاعوك فقـل: إن الله فرض عليكم في أموالكم صدقة تؤخذ من أغنيـــائكم فـــترد في فقـــرائكم» [1] إلخ، وبطبيعة الحال كان المبعوث يـبين أحكـام كل ذلك بما سـمعه من حـديث النـبي ، وبسـبب هـذا الهـدي النبـوي آتت هـذه البعـوث ثمرتها الطيبة في نشر الحـديث الشـريف بين ربـوع

[1] (?) أخرجه مسلم 1/50، كتاب الإيمان ، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ح 29 (19).

المسلمين.

**2- وفود القبائل إليه ﷺ وأثر ذلك في نشر الحديث:-**

لما تم لرسـول الله ﷺ هـذه الانتصـارات البـاهرة والفتـوح المتكـاثرة وفـرغ من غـزوة تبـوك جاءته الوفـود من أطـراف الجزيـرة العربية تضرب إليه أكباد الإبل يحفزها الشـوق إلى لقاء هذا النـبي الأمين ليأخـذوا الـدين من منبعه الأول، فقد عـرفت هـذه القبائل أنه لا طاقة لها بحـرب محمد ﷺ بعد أن انضـوت قـريش تحت لـواء الإسـلام، وقـريش هي في نظرهم لها لواء الإمامة والسيادة فدخلت هذه القبائل في الدين أفواجاً ووفـدوا على رسـول الله ﷺ زرافات ووحداناً مصداقاً لقوله تعالى: [illegible] [النصر:1–3].

جـاءت الوفـود تـترى إلى رسـول الله كما جاءته الكتب والرسل من الملـوك تخـبره بإسلامهم ومفارقتهم للشرك وأهله وكلما جاء وفد أكرمهم ﷺ وأرشـدهم وعـرفهم أمر دينهم، وبشـرهم إنْ هم أطـاعوه وحـذرهم إن هم عصـوه، وأفهمهم بما لهم وما عليهم، وكـان قـدوم الوفـود سـنة تسع من الهجـرة، حـتى سميت هذه السنة بسنة الوفود، ولم تكن هذه الوفـود تـأتي لنيل عطـاء وإن كـان النـبي ﷺ يكرمهم ويعطيهم من مال الله الـذي آتـاه، بل يـأتون إليه فيسـألون عن أحكـام الإسـلام، أصوله وفروعه وكان النبي ﷺ يتحدث إليهم في كل ذلك ويجيبهم عن أسـئلتهم ويخطب فيهم ويرشـدهم ويعلمهم ويوصـيهم بتقـوى الله والسمع والطاعة.

وإن من يقرأ السيرة النبوية يجد أن وفوداً كثيرة جداً أقبلت عليه  حتى كأنه لم تبق قبيلة من قبائل العرب إلا قدم منها وفد على رسول الله  ولقد عرف الصحابة رضي الله عنهم تلك الوفود وفداً وفدا وحفظوا ما حدثهم به النبي  من حديث وما خطبهم من خطب وما بثه فيهم من مواعظ ونصائح وأحكام وسنن حتى إنك لتجد كتب الحديث والسير والمغازي مملوءة بذكر هذه الوفود وما كان لها من أثر عظيم في نشر الدين والسنن سواء ما كان من هذه الوفود في سنة تسع وما كان قبلها. وهاك بعض الوفود التي أقبلت عليه :-

1- وفد بني سعد بن بكر- وكان وافدهم إلى النبي  هو ضمام بن ثعلبة وفد على رسول الله سنة تسع من الهجرة ولما قدم المدينة وجد النبي  جالساً بين أصحابه ولا يعرفه، فقال: أيكم ابن عبدالمطلب ؟ فأشاروا إلى النبي  فدنا منه وقال: « إني سائلك فمشدد عليك في المسألة، قال: سل عما بدا لك، فقال: يا محمد جاءنا رسولك فذكر لنا أنك تزعم أن الله أرسلك، قال: صدق، فقال أنشدك برب من قبلك وبرب من بعدك، قال: اللهم نعم، أنشدك بالله آلله أمرك أن نصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟، قال اللهم نعم، قال: وأنشدك بالله آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة؟، قال: اللهم نعم، قال: وأنشدك بالله آلله أمرك أن تأخذ هذه

الصـــــدقة من أغنيائنا فتقســـــمها على فقرائنا؟ فقـال النـبي  اللهم نعم، فقـال الرجــل: آمنت بما جئت بــه، وأنا رســول من ورائي من قــــومي، وأنا ضــــمام بن ثعلبة »[1] ثم رجع ضـــــــمام إلى قومه فأسلموا جميعاً.

[1] (?) أخرجه البخاري في صحيحه مع الفتح 1/ 148 ، كتاب العلم ، باب ما جاء في العلم ، ح 63.

2- وفد عبد القيس - لما قدموا على النبي  قالوا: يا رسول الله إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام وبيننا وبينك هذا الحي من مضر فمرنا بأمر فصل نُخبر به من وراءنا وندخل به الجنة وسألوه عن الأشربة فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع، أمرهم بالإيمان بالله وحده، قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال:شهادة أنَّ لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تعطوا من المَغنم الخمس، ونهاهم عن أربع عن الحنتم والدباء والنقير والمزفت، وقال احفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم»[1].

من هذا ترى أن الوفود كانت تقدم على رسول الله  لتنهل من معين العلم ولتتفقه في دين الله وتقف على أحكام الإسلام، ثم يرجعوا إلى أوطانهم يعلمون من وراءهم من قبائلهم وعشائرهم، فهذه الوفود إلى جانب البعوث التي كان يرسلها النبي  إلى القبائل والملوك كان لها أكبر الأثر في نشر السنة النبوية في أنحاء الجزيرة العربية.

---

1 (?) أخرجه البخاري في صحيحه مع الفتح 1/183 ، كتاب العلم ، باب تحريض النبي صلى الله عليه وسلم وفد عبد القيس ....إلخ ح 87.

## و- حجة الوداع وأثرها في نشر الحديث

هـذا ولما اسـتتب لرسـول الله  الأمر في الجزيــرة قصد حج بيت الله الحــرام وقد حج معه من المسـلمين أكـثر من مئة ألف فـألقى فيهم النـبي  خطبة عظيمة جمع فيها أحكامـاً غزيرة وسنناً كثيرة ووضع من آثار الجاهلية ما أبطله الإسلام، ولكـثرة النـاس في ذلك اليـوم اتخذ ربيعة بن أمية بن خلف مُبلغــــاً عنـــــه، وافتتح هــذه الخطبة بعد حمد الله بقوله «أيها النــاس اســمعوا قــولي فلعلي لا ألقــاكم بعد عـامي هـذا بهـذا الموقف أبـدا»(1) وهي خطبة طويلة بين للنـــــاس فيها مناسك الحج وكأنه عليه السلام كان يشـعر بـدنو أجله فلم يـترك شـــيئاًلم يكن بينه للنـــاس إلا بينه وأظهـــره، فكــانت هــذه الخطبة الحافلة في هــذا الجمع الحاشد من أكــبر العوامل في ذيــوع الســنن الكثــيرة بين قبائل العــرب وعشــائرهم وهي كمنهـــاج ختـــامي للـــدعوة الإســلامية عامة ولحديث رسول الله  خاصة وقد نزل في هذا الوقت قوله تعالى:              [المائدة:3].

---

1 (?) هذا القول بلفظه لم أجده فيما بين يدي من الكتب ، ولكن خطبة حجة الوداع المشهورة من حديث جابر أخرجها مسلم 2/886، كتاب الحج ، باب حجة النبي  ، ح 147( 1218 ) .

## المبحث الثاني:
## جهود الصحابة والتابعين في حفظ السنة بعد وفاة النبي 

كان مصدر التشريع في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام كتاب الله وسنة رسوله، ينـزل الوحي فيبلغه النبي الكريم إلى الناس كافة، ويبين مقاصده، ثم يطبق أحكامه، فكان الرسول  المرجع الأعلى في جميع أمور الأمة، في القضاء والفتوى، والتنظيم المالي والسياسي والعسكري، ويعالج الأمور على مرأى من أصحابه رضي الله عنهم.

ثم ما لبث أن انتقل إلى الرفيق الأعلى، وانقطع الوحي ولم يبق أمام الأمة إلا القرآن الكريم والسنة الشريفة، مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: (( تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنتي ))[1].

وتمسك الصحابة والتابعون بسنته عليه الصلاة والسلام استجابة لأوامر الله عز وجل وطاعة لرسوله عليه الصلاة والسلام.

### منهج الصحابة والتابعين في المحافظة على السنة

رأينا حرص الصحابة والتابعين على التمسك بالسنة المطهرة، وحسن اقتدائهم بالرسول  وتتبعهم آثاره، ووقوفهم عند

---

[1] (?) أخرجه مالك في الموطأ 2/899 ، كتاب القدر ، باب النهي عن القول بالقدر ، ح 3 وصححه الألباني كما في السلسلة الصحيحة 4/355 ، ح 1761.

أحكامه عليه الصلاة والسلام متى ثبتت عندهم، وقد نهج الصحابة والتابعون سبيلاً قويماً للمحافظة على الحديث النبوي، ويتضح هذا المنهج من احتياطهم في رواية الحديث، وفي تثبتهم في قبول الأخبار، هذا إلى جانب ما عرضناه من تمسكهم بالسنة وحضهم الناس على الاقتداء بالرسول  .

**1 – احتياط الصحابة والتابعين في رواية الحديث:**

احتاط الصحابة في رواية الحديث عن الرسول  خشية الوقوع في الخطأ، وخوفاً من أن يتسرب إلى السنة بعض التحريف، وهي المصدر الأول بعد القرآن الكريم، ولهذا اتبعوا كل سبيل يحفظ على الحديث نوره، فحملهم ورعهم وتقواهم على الاعتدال في الرواية عن الرسول ، حتى إن بعضهم آثر الإقلال منها خوفا من الوقوع في الخطأ والزّلل لا زهداً فيه، واشتهر من بين الصحابة عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- بشدة إنكاره على من يكثر الحديث.

والتزم الصحابـة هـذا المنهج، فلم يـرووا الأحاديث إلا حين الحاجة، وكانوا حين يروونـها يتحرون الدقة في أدائها، وكثيراً ما كان يقول بعضهم بعد رواية الحديث ( نحو هذا، أو كما قال ,أو شبيها بذلك )[1]

ونرى من الصحابة من تأخذه الرعدة،

---

[1] (?)كما في سنن ابن ماجه 1/11، المقدمة باب التوقي في الحديث عن رسول الله  ,ح 23 و24 .

ويقشعر جلده، ويتغير لونه حين يروي شيئاً عن الرسول ﷺ، ورعاً واحتراما لحديثه عليه الصلاة والسلام.

من هذا ما رواه عمرو بن ميمون قال: ما أخطأني ابن مسعود عشية خميس إلا أتيته فيه قال: فما سمعته بشيءٍ قط قال: ( قال رسول الله ﷺ ) فلما كان ذات عشية قال: ( قال رسول الله ﷺ، قال: فنكس، قال: فنظرت إليه، فهو قائم محللة أزرار قميصه، قد اغرورقت عيناه، وانتفخت أوداجه، قال: أو دون ذلك، أو فوق ذلك، أو قريباً من ذلك أو شبيهاً بذلك )[1]

ولم ينهج الصحابة هذا السبيل لقلة ما لديهم من الحديث، بل فعلوا ذلك كله حرصاً على السنة وصيانة لها، واحتياطاً للدين ورعاية لمصلحة المسلمين، لا زهداً في الحديث النبوي ولا تعطيلاً له.

وقد ثبت عن الصحابة جميعاً تمسكهم بالحديث الشريف واجلالهم إياه، وأخذهم به، وقد تواتر خبر اجتهاد الصحابة إذا وقعت لهم حادثة شرعية من حلال أو حرام، وفزعهم إلى كتاب الله تعالى، فان وجدوا فيه ما يريدون تمكسوا به، وأجروا (حكم الحادثة) على مقتضاه، وإن لم يجدوا ما يطلبون فزعوا إلى (السنة)، فإن روي لهم خبر أخذوا به ونزلوا

---

1 (?) أخرجه ابن ماجه 1/10 ، المقدمة ، باب التوقي في الحديث عن رسول الله ﷺ ، ح 23 وقال المحقق وفي الزوائد: إسناده صحيح ، احتج الشيخان بجميع رواته.

على حكمـه، وإن لم يجـدوا الخـبر فزعـوا إلى الاجتهاد بالرأي.

وطريقة أبي بكر وعمر في الحكم مشـهورة: كـان أبو بكر الصـديق إذا ورد عليه حكم نظر في كتاب الله تعالى، فـإن وجد فيه ما يقضي به قضى بـه، وإن لم يجد في كتـاب الله تعـالى نظر في سـنة رسـول الله  فـإن وجد فيها ما يقضي به قضى بـه، فـإن أعيـاه ذلك سأل الناس: هل علمتم أن رسـول الله  قضى فيه بقضـاء، فربما قـام إليه القـوم فيقولـون ..... قضى فيه بكـذا وكـذا، فـإن لم يجد سـنة سـنها النـبي  جمع رؤسـاء النـاس فاستشارهم[1] وكان عمر رضي الله عنه يفعل ذلك.

ورأى الصحابة في منهج عمر رضي الله عنه حفظ السنة، وحمل الناس على التثبت بما يسمعون، والتروي فيما يؤدون، فالتزموه من غير إفراط ولا تفريط، ولم يكثروا من الرواية مخافة رفع التدبر والتفقه، فالتزموا الاعتدال فيها.

ثم إن كثرة الرواية مظنة الوقوع في الخطأ، وبخاصة أنه ورد النهي عن التحديث بكل ما يسمعه المرء، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله  أنه قال: «كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع»[2] ، وسار التابعون وأتباعهم على منهج الصحابة،

---

1 (?) إعلام الموقعين لابن قيم الجوزيه 1/62 .

فاحتاطوا في رواية الحديث، وعابوا الإكثار منها مخافة أن يرتفع تدبر الحديث وفهمه، قال محمد بن المنكدر: ( الذي يحدث الناس إنما يدخل بين الله وبين عباده فلينظر بما يدخل )[1]

**2- تثبّت الصحابة والتابعين في قبول الحديث**

أمر الإسـلام بـالتثبت في قبـول الأخبـار، ونهى عن الكذب، وأمر بقول الحق، نزل بهـذا الـوحي الأمين، ونطق به الرسـول الكـريم، وعمل بـذلك الصـحابة أجمعـون، وسـار على ذلك المتقدمون والمتأخرون، قال تعالى:  [الحجرات:6] وقال عز من قائل:  [الأحزاب:70-71]، وقال:  [الأنعام:152] و [الحج:30].

وقال : «من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»[2] وقال: «إن كذبا علي ليس ككذب على أحد، فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»[3].

هكذا أمر المسلمون بالصدق في كل

---

[2] (?) أخرجه مسلم في صحيحه 1/10 ، المقدمة ، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع .

[1] (?) الكفاية للخطيب البغدادي ص 168.

[2] (?) أخرجه البخاري في صحيحه مع الفتح 1/200، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ، ح 107.

[3] (?) أخرجه مسلم 1/10 ، المقدمة ، باب تغليظ الكذب على رسول الله  ح 4.

شيء، وبالأمانة والعدل وبتحري الحق واجتناب الباطل، ولهذا فقد احتاط رجال الحديث ونقاده في قبول الحديث، وتثبتوا وتأكدوا من الأخبار التي يرويها المسلمون، وقد نهج هذا السبيل الصحابة والتابعون, ومن جاء بعدهم، وحاولوا التثبت بكل وسيلة تضمن لهم صحة المروي وضبط ناقله، بطلب الحديث من راو آخر، وجمع طرقه تارة، وبالرجوع إلى أئمة هذا الشأن تارة أخرى.

وحق للأمة الإسلامية أن تتثبت في حديث رسول الله  وتستوثق له - وهو المصدر التشريعي الثاني بعد القرآن الكريم، فكما احتاط الصحابة والتابعون وأهل العلم من بعدهم في رواية الحديث، احتاطوا وتثبتوا في قبول الأخبار عن رسول الله ، وأمثلة تثبت الصحابة والتابعين ومن خلفهم أكثر من أن تحصى، وسنكتفي بذكر مثال عليها:

روى الإمام البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: كنت في مجلس من مجالس الأنصار إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور، فقال: استأذنت على عمر ثلاثا فلم يؤذن لي، فرجعت فقال: ما منعك؟ قلت: استأذنت ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت، وقال رسول الله  « إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع ». فقال: والله لتقيمن عليه بينة، أمنكم أحد سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقال أبـيّ بن كعب: والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم فكنت أصغر القوم فقمت معه فأخبرت عمر أن النبي  قال ذلك فقال عمر لأبي موسى:

أما إني لم أتهمك ولكن خشيت أن يتقول الناس على رسول الله  [1].

ولم يكن التابعون و أتباعهم أقل اهتماما من الصحابة بالاحتياط لقبول الحديث فكانوا يتثبتون من الراوي بكل وسيلة تطمئن إليها قلوبهم  وإن من يتتبع تاريخ الرواة، وكيفية تحملهم الحديث الشريف؛ ليدرك تماما جهود التابعين وأتباعهم، تلك الجهود التي بذلوها لنقل السنة إلى خَلَفهم، وهذا مثال يدل على ذلك:

1 - عن عبادة بن سعيد التجيبـي أن عقبة بن نافع الفهري أوصى بنيه فقال: ( يا بني لا تقبلوا الحديث عن رسول الله  إلا من ثقة ).

ويؤكد ذلك قول كثير من العلماء كعبدالله بن عون (150هـ) وعبدالرحمن بن يزيد بن جابر (المتوفى نحو سنة 153هـ) وشعبة بن الحجاج (82-160هـ)، وسفيان الثوري (97-161هـ) وغيرهم قالوا: (خذوا العلم من المشهورين)، و (لا يؤخذ هذا العلم إلا عمن شهد له بالطلب)[2].

---

1 (?) أخرجه البخاري في صحيحه مع الفتح 11/26 ، كتاب الاستئذان، باب الاستئذان ثلاثاً، ح 6245.

2 (?) يراجع كتاب أصول الحديث لمحمد عجاج الخطيب ص 180 وما بعدها بتصرف .

## المبحث الثالث: جهود أتباع التابعين في حفظ السنة

بعد أن أدى الصحابة والتابعون ما في وسعهم لحفظ السنة آتى هذا الجهدُ ثماره يانعة في عهد أتباع التابعين الذين ساروا على خطى من سبقهم وذلك بأمرين:-

**الأول:** ما خرج للناس من مدونات حديثية مختلفة على يدي أبناء النصف الأول من القرن الثاني الهجري، وقد ظهرت تلك المصنفات والكتب في أوقات متقاربة، وفي مناطق مختلفة من الدولة الإسلامية، فبعد أن كان أهل الحديث يجمعون الأحاديث المختلفة في الصحف والكراريس، أصبحوا يرتبون الأحاديث على الأبواب، وكانت هذه المصنفات تشتمل على السنن وما يتعلق بها، وكان بعضها يسمى مصنفا وبعضها يسمى جامعا أو مجموعا وغير ذلك.

وقد اختلف في أول من صنف وبوب، فقيل عبدالملك بن عبدالعزيز ابن جريج البصري ( 150هـ) بمكة، ومالك بن أنس (93-179هـ) أو محمد بن إسحاق (...-151هـ) بالمدينة المنورة، وصنف بها محمد ابن عبدالرحمن بن أبي ذئب (80-158هـ) موطأ أكبر من موطأ مالك، و الربيع بن صبيح (...-160هـ) أو سعيد بن أبي عروبة (...-156هـ) أو حماد بن سلمة

(...-167هـ) بالبصرة، وسفيان الثوري ( 97-161هـ) بالكوفة، وخالد بن جميل العبد، ومعـمـر ابن راشد (59-153هـ) باليمـن[1]، و الإمام عبدالرحمن بن عمرو الأوزاعي (88–157هـ) بالشام، وعبدالله بن المبارك (118-181هـ) بخرا سان، وهشيم بن بشير (104-183هـ) بواسط [2]، وجرير بن عبدالحميد (110-188هـ) بالري، وعبدالله بن وهب (125-197هـ) بمصر[3], ثم تلاهم كثير من أهل عصرهم في النسج على منوالهم، وقد كان معظم هذه المصنفات، والمجاميع يضم الحديث الشريف وفتاوى الصحابة والتابعين، كما يتجلى لنا بعض هذا في موطأ الإمام مالك بن أنس[4].

ثم رأى بعضهم أن تفرد أحاديث النبي  في مؤلفات خاصة، فألفت المسانيد، وهي كتب تضم أحاديث رسول الله  بأسانيدها خالية من فتاوى الصحابة والتابعين تجمع فيهـا أحاديث كل صحابي ولو كانت في مواضيع مختلفة – تحت اسم مسند فلان ومسند فلان وهكذا.

وأول من ألف المسانيد أبو داود سليمان

---

1 (?) تدريب الراوي للسيوطي 1/89 .

2 (?) تاريخ بغداد 14/85 .

3 (?) تدريب الراوي للسيوطي 1/89 .

4 (?) الرسالة المستطرفة للكتاني ص 6-7.

بن الجارود الطيالسي (33 -204هـ)[1]. وتبعه بعض من عاصره من أتباع التابعين وأتباعهم، فصنف أسد بن موسى الأموي (...-212هـ) وهو أول من صنف المسند بمصر، وعبيد الله بن موسى العبسي (...-213هـ) وقال ابن عدي: هو أول من صنف المسند بالكوفة، ونعيم بن حماد الخزاعي المصري (...-228هـ) واقتفى الأئمة آثارهم كأحمد بن حنبل (164 -241هـ) وإسحاق بن راهويه (161-238هـ) وعثمان بن أبي شيبة (156-239هـ) وغيرهم[2]. و يعُدّ مسند الإمام أحمد بن حنبل – وهو من أتباع التابعين – أوفى تلك المسانيد وأوسعها.

جمع هؤلاء الحديث ودونوه بأسانيده. واجتنبوا الأحاديث الموضوعة وذكروا طرقا كثيرة لكل حديث، يتمكن بها جهابذة هذا العلم وصيارفته من معرفة الصحيح من الضعيف، والقوي من المعلول، مما لا يتيسر لكل طالب علم فرأى بعض الأئمة أن يصنفوا في الحديث الصحيح فقط، فصنفوا كتبهم على الأبواب واقتصروا فيها على الحديث الصحيح. ظهرت الكتب الستة في هذا العصر، عصر أتباع التابعين، وكان أول من صنف ذلك الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (194-256هـ)، ثم الإمام مسلم بن الحجاج القشيري (204-261هـ)، وأبو داود سليمان

---

1 (?) الرسالة المستطرفة للكتاني ص 61.

2 (?) الرسالة المستطرفة للكتاني ص 61 – 63.

بن الأشعث السجستاني (202-275هـ)، وأبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (...-279هـ) وأحمد بن شعيب النسائي (215-303هـ). ثم ابن ماجه وهو عبدالله بن محمد بن يزيد بن عبدالله بن ماجه القزويني (207-273هـ)، وقد خدمت هذه الكتب بالشرح والتهذيب والاختصار والاستخراج عليها من قبل العلماء الذين جاؤوا بعدهم[1].

**الثانـي**: علم الرجال أو ما يسمى بالجرح والتعديل وقد ظهر هذا العلم في عصر الصحابة والتابعين ولكن اشتدت الحاجة إليه في عصر أتباع التابعين، حيث كان التابعون وأتباعهم وأهل العلم من بعدهم يبينون أحوال الرواة وينقدونهم ويعدلونهم حسبة لله، لا تأخذهم خشية أحد ولا تتملكهم عاطفة، فليس أحد من نقاد الحديث ورجاله يحابي في حديث رسول الله  أباه ولا أخاه ولا ولده، وقد قصد الجميع خدمة الشريعة الإسلامية وحفظ مصادرها، فصدقوا القول وأخلصوا النية.

فهذا شعبة بن الحجاج (82-160هـ) يُسأل عن حديث حكيم ابن جبير فيقول ( أخاف النار )[2] وكان شديداً على الكذابين، ولهذا قال الإمام الشافعي: ( لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق)[3].

---

1 (?) جمعت مادة المبحثين الثاني والثالث من كتاب أصول الحديث وعلومه ومصطلحه للدكتور محمد عجاج الخطيب من ص 79 إلى ص 185 بتصرف شديد وإضافات .

2 (?) الجرح والتعديل 1/140.

3 (?) تذكرة الحفاظ 1/193.

وقد كان أئمة الحديث يدققون في حكمهم على الرواة, يعرفون كل محدث ما له وما عليه

قال الإمام الشعبي: ( والله لو أصبت تسعاً وتسعين مرة وأخطأت مرة لعدو علي تلك الواحدة )[1]

وقال يحيى بن سعيد القطان: ( سألت سفيان الثوري وشعبة ومالكاً وابن عيينةَ عن الرجل يكون ثبتاً في الحديث، فيأتيني الرجل فيسألني عنه، قالوا أخبر عنه أنه ليس بثبت )[2]

وقد أكد العلماء ضرورة بيان أحوال الرواة، وأنه ليس في هذا غيبة، بل في ذلك حفظ السنة، وصيانتها عن الدخيل، وبيان الصحيح من الضعيف، والمقبول من المردود، قال ابن المبارك: ( المعلى بن هلال هو، إلا أنه إذا جاء الحديث يكذب، فقال له بعض الصوفية: يا أبا عبدالرحمن، تغتاب ؟ فقال: اسكت، إذا لم نبين، كيف يعرف الحق من الباطل ؟ )[3]

وقال عبدالله بن أحمد بن حنبل: ( جاء أبو تراب النخشبي إلى أبي فجعل أبي يقول: فلان ضعيف، فلان ثقة، فقال أبو تراب: يا شيخ، لا تغتب العلماء، فالتفت أبي إليه، فقال

---

1 (?)تذكرة الحفاظ 1/82 .

2 (?) ضعفاء العقيلي 1/14 .

3 (?) الكفاية للخطيب البغدادي ص 45.

له: ويحك ... هذا نصيحة وليس هذا غيبة )[1]

وكانت غاية العلماء في كل هذا بيان الحق بكل أمانة وإخلاص، وكانوا يرون الأمانة في الذهب والفضة أيسر من الأمانة في الحديث، فكانوا أمناء في كل هذا ولولا ضرورة التثبت والبحث ما خاضوا هذا الميدان الخطير، وما قاسوا المكاره والصعاب.

وقيل ليحيىبن سعيد القطان: ( أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءَك عند الله ؟ قال: لأن يكون هؤلاء خصمائي أحب إليَّ مـن أن يكون خصمي رسول الله ، يقول: لم حدثت عني حديثاً ترى أنه كذب ؟ )[2]

وهكـذا قـام هـؤلاء العلمـاء بهـذه الجهـود المباركة لما فيها من نصح للمسـلمين، وحفظ لســنة رســول الله  وإقامة لقواعد الـــدين استجابة لقول الله عز وجل:               
           [الأحزاب:70 – 71]

فجــزى الله هــؤلاء الرجــال الأفــذاذ خــير الجزاء على ما قدموه من جهود جبـارة لخدمة هــذا الــدين وجعلها في مــوازين أعمــالهم .. آمين.

---

1 (?) الكفاية للخطيب البغدادي ص 45.

2 (?) تدريب الراوي 2/369.

## الخاتمـــــة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده.

فإنه في ختام هذه الوريقات يطيب لي أن أخرج بهذه الخلاصة التي أرجو أن تنفع من قرأها.

* أن المعنى اللغوي للسنة يقود للمعنى الاصطلاحي وبينهما رابط قوي ألا وهو الطريق والمنهج المسلوك، على ما ورد من اختلافات طفيفة في التعريف الشرعي بين المحدثين والفقهاء والأصوليين، فكل يعرف بما يخدم علمه لكنها كلها تصب في قالب واحد.
* أن الله كما أوحى لنبيه محمد  بالقرآن فقد أوحى له بالسنة لأنه وصفه بأنه لا ينطق عن الهوى ولأن ما ينطق به شرع يتعبد به والله هو الشارع سبحانه.
* أن الله كما حفظ كتابه، فقد قيض لسنة نبيه من يحفظها من الصحابة الأبرار ومن جاء بعدهم ممن حمل همَّ هذا الدين حتى تبقى شرعاً يُعمل به إلى أن تقوم الساعة.

وما كان في هذا البحث من صواب فمن الله، وما كان فيه من تقصير فمن نفسي المقصرة ومن الشيطان.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

## المصادر والمراجع

1) القــرآن الكــريم.
2) أصول الحديث علومه ومصطلحه للدكتور محمد عجاج الخطيب، الطبعة الرابعة - دار الفكر – بيروت لبنان 1401هـ – 1981 م.
3) أصول الفقه الإسلامي لزكي الدين شعبان، الطبعة الثالثة – دار العلم – بيروت لبنان 1394 هـ - 1974 م.
4) إعلام الموقعين عن رب العالمين لشمس الدين أبي عبدالله محمد ابن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، توزيع دار الباز، مكة المكرمة.
5) تاريخ بغداد للحافظ أبي بكر بن أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان.
6) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للحافظ السيوطي، حققه عبدالوهاب عبداللطيف، الطبعة الثانية – دار الكتب الحديثة – مصر 1385هـ - 1966م.
7) تفسير ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - للحافظ ابن كثير، تحقيق عبدالعزيز غنيم ومحمد عاشور ومحمد البنا - طبعة الشعب - القاهرة.
8) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي، الطبعة الأولى – مطبعة دار المعارف –

الهند.
9) الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية لمحمد أبو زهو - طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الرياض - المملكة العربية السعودية - الطبعة الثانية - 1404هـ - 1984م.
10) دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، تأليف الدكتور - محمد مصطفى الأعظمي - طبعة المكتب الإسلامي - بيروت - دمشق - 1400هـ -1980م.
11) الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة للعلامة محمد بن جعفر الكتاني، الطبعة الرابعة - دار البشائر الإسلامية – بيروت - لبنان 1406هـ – 1986م.
12) سلسلة الأحاديث الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية – الدار السلفية – الكويت 1404هـ - 1984م.
13) السنة قبل التدوين للدكتور محمد عجاج الخطيب، الطبعة الثالثة- دار الفكر– بيروت - لبنا ن 1400هـ - 1980م.
14) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للدكتور مصطفى السباعي، الطبعة

الرابعة للمكتب الإسلامي - بيروت - دمشق - 1405هـ - 1985م.
15) سنن ابن ماجه للحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، طبعة المكتبة العلمية، بيروت- لبنان.
16) سنن أبي داود للإمام الحافظ أبي داود ( سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي )، إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، الطبعة الأولى - دار الحديث - حمص - سورية.
17) سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت – لبنان.
18) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري للإمام ابن حجر العسقلاني، تصحيح وتحقيق ومقابلة سماحة العلامة الجليل الشيخ عبدالعزيز بن باز، طبعة دار الفكر، رقمه محمد فؤاد عبدالباقي، قام بإخراجه وأشرف على طبعه محب الدين الخطيب.
19) صحيح سنن ابن ماجه، تأليف محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى - المكتب الإسلامي – بيروت - لبنان - 1407هـ -1986م.
20) صحيح سنن أبي داود، صحح أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة

الأولى -المكتب الإسلامي - بيروت - لبنان 1409هـ - 1989م.
21) صحيح مسلم لمسلم بن حجاج النيسابوري، اعتنى به محمد فؤاد عبدالباقي، طبعة المكتبة الإسلامية، استانبول - تركيا.
22) الضعفاء الكبير لأبي جعفر العقيلي، تحقيق د. عبدالمعطي أمين قلعجي، الطبعة الأولى – دار الكتب العلمية – بيروت - لبنان 1404هـ - 1984م، توزيع دار الباز.
23) القاموس المحيط للعلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية - بيروت - لبنان - 1407هـ - 1987م.
24) الكفاية في علم الرواية للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي ابن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي.
25) لسان العرب لابن منظور - طبعة دار المعارف - تحقيق عبدالله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي.
26) المراسيل تصنيف أبي داود، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه شعيب الأرناؤوط، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة – بيروت لبنان – 1408هـ -

1988م.
27) المسند للإمام أحمد بن حنبل، شرحه ووضع فهارسه أحمد شاكر، الطبعة الثانية - دار المعارف بمصر - 1391هـ -1971م.
28) المسند للإمام أحمد بن حنبل، وبهامشه منتخب كنـز الكمال في سنن الأقوال والأفعال، طبعة المكتب الإسلامي.
29) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه محمد فؤاد عبدالباقي، مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - 1364هـ.
30) موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف إعداد خادم السنة المطهرة أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الفكر - بيروت - لبنان - 1414هـ - 1994م.
31) الموطأ للإمام مالك بن أنس، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبدالباقي – دار إحياء الكتب العربية.
32) النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري بن الأثير، تحقيق محمود محمد الطناحي، طاهر أحمد الزاوي - دار إحياء الكتب العربية.

## الفهرس